الكندي

ابو يوسف يعقوب بن اسحق الكندي فيلسوف العرب واحد ابناء ملوك فرع الاشعث الكندية وسيد امراء الجزيرة العربية كان جده اسحق بن الصباح اميراً على الكوفة نحو ثلاثة من خلفاء العباسيين المهدي والهادي والرشيد وتنتهي سلسلة اجداده الى يعرب بن قحطان وبينهم الاشعث بن قيس من اصحاب النبي وكان قبل ذلك ملكاً على كندة كما كان ابوه . ومن اجداد الكندي معدي كرب كان ملكاً في حضرموت كأبيه ومعظم اجداد الكندي ملوك بالشعر واليمامة والبحرين

لم يذكر مؤرخو العرب تاريخ ميلاد الكندي ووفاته بالدقة ولم يذهبوا الى اكثر من انه من اهل القرن الثالث للهجرة ولكن ماليزغربيين حققوا ذلك فذكر فلوجل ان الكندي عاش في النصف الاول من القرن العاشر للميلاد ومات بعد عام ٨٦٦ وذكر العلامة ناجي الايطالي احد اساتذة الفلسفة بروما المتوفى في اواخر القرن التاسع عشر وهو ممن عنوا بتاريخ الفلسفة العربية ونشر كتباً للكندي باللاتينية ان وفاته كانت عام ٨٧٣ هجرية أي ٨٧٣ مسيحية وثبت انه كان حياً يرزق عام ٨٦٠ هجرية فكأنه عمر نحو سبعين عاماً

قال صاعد بن احمد وهو من حفدة الاندلسي ان الكندي كان بصرياً وكان له بالبصرة صيعة توارثها عن آبائه ثم انتقل الى بغداد وخرج في مدارسها بعد تبحره بالبصرة وكان عالماً بالطب والفلسفة وعلم الحساب والمنطق وتأليف اللحون والفلسفة وعلم النفس وغيرها وقيل انه كان عالماً بين علوم الاوائل والدرس ويدرسها كذلك اطباء بغداد كذلك عدّ بحدق الفنين الاجنبيين الذائعين لذلك العهد وهو ابوماشية والمرياني لاجل هذه المأثرة فيمن ندب من الحكماء الى ترجمة مؤلفات ارسطو وغيره من فلاسفة اليونان

وقال سليمان بن حسان انه لم يكن في الاسلام فيلسوف غيره ولعله يقصد بذلك الى انه اول فلاسفة الاسلام ثم ان الكندي احتذى في تأليفه حذو ارسطو

وترجم من كتب الفلسفة الكثير وأوضح منها المشكل وقرب المستصعب وبسط العويص وهذا نعم كتبه في الترجمة فقد ذكر شاذان في المذكرات عن ابي معشر المنجم عند المصريين بكتاب في التنجيم) ان حذاق التراجمة في الاسلام اربعة منهم يعقوب ابن اسحق الكندي

بيد أن بعض معاصريه تقولوا عليه اما حسداً واما غير ذلك ومنهم القاضي ابو القاسم صاعد بن احمد القرطبي قال في كتاب طبقات الامم عند الكلام على كتب الكندي في المنطق انها لقيت عند الناس نفاقاً تاماً وقلما ينتفع بها في العلوم لانها خالية من صناعة التحليل التي لا سبيل الى معرفة الحق من الباطل في كل مطلوب الا بها واما صناعة التركيب وهي التي قصد يعقوب في كتبه هذه اليها فلا ينتفع بها الا من كانت عنده مقدمات عتيدة حينئذ يمكن التركيب . ومقدمات كل مطلوب لا توجد الا بصناعة التحليل ولا ادري ما حمل يعقوب على الاضراب عن هذه الصناعة الجليلة هل جهل مقدارها او ضن على الناس بكشفها واي حدثين كان فهو نقص فيه . ولهُ بعد هذا رسائل كثيرة في علوم جمة فيها آثار فاسدة ومذاهب بعيدة عن الحقيقة . وتحامُل القاضي القرطبي ظاهر على ان هذا لم يكن رأي علماء الافرنج في الكندي فقد عده غليوم كردانو الايطالي المتوفى سنة ١٥٧٦ بين الاثني عشر عبقرياً الذين ذكر انهم اهل الطراز الاول في الذكاء والعلم . يخرج الناس سواهم منذ بداية العالم الى نهاية القرن السادس عشر للمسيح . وقال روجر باكون وهو قسيس انجليزي من اهل القرن الثالث عشر للمسيح ومن مشاهير القرون الوسطى ان الكندي والحسن بن الهيثم في الصف الاول مع بطليموس الاشهر عند دونة في علم المرئيات وقد نقل بعض رسائله في هذا الباب بيرار وكريمونة

على ان مؤلفات الكندي الفلسفية وشروحهُ لحكمة ارسطو وهو اول ما دونهُ العرب في هذه الدورة الذكر في كتبهم التي وقعت لنا ونذكر بين مؤلفاته كتاباً في قصد ارسطوطاليس في المقولات وآخر في ترتيب مصنفات ارسطو وذكر له ابن ابي اصيبعة في طبقات الاطباء رسالة في كمية كتب ارسطو وما يحتاج اليهِ في تحصيل علم الفلسفة مما لا غنى في ذلك عنهُ وفي ترتيبها واغراضهِ

فيها وكتاب في قصد ارسطاطاليس في المقولات والموضوعة في رسالته الكبرى في متياس اللغي . ومن كتب ارسطو كتاب الترجيا وهو نزل على الاوربية تنسب لفرفوريوس الصوري ونقله الى العربية عبد المسيح بن عبدالله الحمصي واصلحه لاحمد بن المعتصم بالله ابن يوسف يعقوب بن اسحق الكندي وضع ببرلين عام ١٨٧٢م

اسلفت ان الكندي في طليعة من شرحوا ارسطو ولكن ابن سينا خلفه وفاق عليه. وذكر بن جلجل انه لم يكن بين فلاسفة الاسلام اكتب هذا بعد وفاة الفارابي) من انتقى آثار ارسطو باوفق مما انتقاه الكندي

اما تآليف الكندي فتكاد تشمل سائر العلوم فقد درس كتباً في الفلسفة وعلم السياسة والاخلاق والارثماطيقي وعلم الكريات والموسيقى والفلك والجغرافيا والهندسة ونظام الكون والتنجيم والطب والنفسانيات والابعاديات والمساكن الف فيها رسالته الكبرى ورسالة في الربع المكون وعلم المعادن وفيه رسالة في انواع الجواهر والاشباه ورسالة في نعت الحجارة والجواهر وصفاتها وجيدها ورديئها واثمانها ورسالة في تدبير الزجاج واخرى في انواع الحديد والسيوف وجيدها ومواضع انتسابها. والف في الكيميا رسالة في العطر وانواعه ورسالة في كيمياء العطر. واخرى في التنبيه على خبث الكيميائيين ورسالة في الطبيعة ورسالة في الاجرام الغالصة في الماء ورسالة في الاجرام المحيطة ورسالة في علل الحوادث المفردة. وله كتب خطية في مكاتب اوربا ذكرها بروكلمان في فهرسته. يجد الناظر في مؤلفات الكندي روى انها لم تخرج عن حد المقليات واخيراً العلامة سنتلانا استاذ تاريخ الفلسفة بالجامعة المصرية في عام ١٩١٠ م نشر البيروني الذي سلف ذكره نشر في عام ١٨٧٢ م خمس رسائل فلسفية للكندي اولاها في ماهية العقل ونشرت ترجمتها باللاتينية

وليس بين مؤلفات الكندي شيء في الدين بل انه اشتهر برأي خاص في واجب الوجود خالفه فيه المتشددون من اهل عصره واخذوا عليه رأيه المذكور الذي اودعه رسالة التوحيد. وقد روى عبد اللطيف البغدادي احد اطباء العرب ومؤلف كتاب اخبار مصر وصف من اهل القرن الثاني عشر ومن الفقهاء المتعصبين

ذكر في رسالته هذه بحثاً في حقيقة واجب الوجود وما ينفي عن ذاته الصفات وان غاية ما تدل عليه فلسفة الكندي ما نقل في رسالة الترجمان وروى كاتب رسالة الكندي في ذكر اسماء المؤلفات التي ربما كان بعض القائلين عن الاسلام يقصد استتباعهم. ولكن في هذه الرسالة قد سبقه كثير من المعتزلة كواصل بن عطاء في اوائل القرن الثاني وعمرو بن عبيد وانشأه تلميذ ابي الهذيل والجاحظ تلميذه وكلهم سابقوه على ان خصوم الكندي لم يأخذوا عليه الا قوله بوحدة واجب الوجود وبساطة ذاته العلية وان هذه القول ارسطي محض ومعناه ان القائلين به لا يستثنون لواجب الوجود بعلة مطلقة والصفات المطلقة هي المميزة عن الذات وكان ارسطو حقيقة ينكر الصفات ويقول بانها والذات شيء واحد وهذا القدر من قولهم ببساطة واجب الوجود

على ان المعتزلة والمثبتين متفقون في جوهر هذه المسألة فان المعتزلة تقول ان الله عليم بذاته خبير بذاته قادر بذاته اي يعلم ويقدر بدون الاحتياج الى صفة. اما الصفاتية وهم جمهور المسلمين يقررون بان الله عليم بالعلم اي بصفة اسمها العالم وقدير بقدرة اي بصفة اسمها القادر وان هذه الصفات ليست منفصلة عن الذات لانها لو انفصلت لعادوا الى رأي المعتزلة وقد يشركون. وجملة المعتزلة فيما سبق بيانه ان القول بالصفات يثبت ثلاثة عشر قديماً (الصفات المشهورة ثلاث عشرة غير سلبية وواحدة نفسية وسبعة معان) على ان المعتزلة اذا سئلوا قالوا ان الله قادر فهم متفقون وجمهور المسلمين في جوهر المسألة

اول خصوم الكندي من المعاصرين هو محمد بن اسحاق النديم البغدادي الكاتب المعروف بابن ابي يعقوب في كتاب الفهرست انه كان معتزلي وهو جعفر بن محمد البلخي من اصحاب الحديث اولاً كان سنياً في جانب الكرخ من بغداد وكان يضاهي الكندي بالعربية والفلسفة ويشتغل عليه للاخذ عنه الفلاسفة انه رأى الكندي سنة ذلك راكباً ان ينفع من تعلم شيئاً ينفع به بشر ولا يضره فدس عليه من حمله النقل في علم الحساب والهندسة فاشتغل بهما ولكنه لم يوفق فيهما فسأل بعض من علم احكام النجوم فتعلم شيئاً من الكندي بنظره في هذا العلم وقد تعلم علم احكام النجوم بعد سن الاربعين سنة من عمره واسمى من تلاميذ الفيلسوف بعد ان كان الله اعدائه

روى ابو جعفر بن يوسف في كتابه حسن العتبي عن ابي كامل شجاع بن الحاسب انهُ كان لعهد المتوكل اخوان شريران محمد واحمد ابنا موسى بن شاكر وكان هذان الشقيان يكيدان لكل من ذكر بالتقدم في علم او معرفة فلما ذاع فضل الكندي فاظلهما ذلك وارادا الوقيعة بهِ لدى المتوكل وكان للكندي نصير في بلاط الخليفة وهو سند بن علي فباعداهُ عن المتوكل واشخصاه الى مدينة السلام فلما خلا لهما الجو دبرا على الكندي مكيدة فضربهُ المتوكل ووجها الى دارهِ فاخذا كتبهُ باسرها وافرداها في خزانة سميت الكندية

وقد ردت لهُ هذه الكتب بخبر غريب وهو ان الشقيقين الشقيين كانا يصلان للانفراد بالمتوكل وابعاد اهل الفضل عنهُ والحصول على ما يستطيعان من المال فكشف امرهما في حفر النهر المعروف بالجعفري فانهما اسندا حفرهُ الى مهندس معرفتهُ اوفى من توفيقه فغلط في فوهة النهر واتلفا جملة من مال المتوكل فاقسم ان يصلبهما على شاطئهِ ان كان ما بلغهُ عن الغلط حقاً فترسلا الى سند بن علي الذي ما تركا شيئاً من سوء القول الاَّ ذكراهُ عند المتوكل بهِ فقال لهما سند بشهم اهل الفضل انكما لتعلمان ما بيني وبين الكندي من العداوة والمباعدة ولكن الحق اولى ما اتبعهُ والله لاذكرنكما عند المتوكل بصالحة حتى ترددا عليهِ كتبهُ فتقدم محمد ابن موسى في حمل الكتب اليهِ واخذ خطه باستيفائها فوردت رقعة الكندي بتسلمها عن آخرها وقال سند للمتوكل انهما ما غلطا لينقذهما من العقاب ومات المتوكل بعد ذلك بشهرين قبل ان يظهر غلط الحفر في النهر

اعتاد مترجمو الحكماء رواية بعض اقوالهم في الحكمة العامة للاستدلال على ارائهم ويغلب ان يكون المنقول من الحكم الدائمة على ألسنة الادباء وذكرت للاسهاب او دسَّت على الرواة فقد قرأت حكماً نسبت لسقراط وقرأتها بعينها منسوبة لكونفوشيوس ولقمان وغيرهما ومثل هذا كثير ولا أظن انهُ يؤخذ بهِ في تقدير المنسوب اليهِ او في الحكم عليهِ

والاقوال المروية عن الكندي تنقسم من حيث شكلها الى نوعين نثراً وشعراً والنثر في ثلاثة امور الاول نصيحة للطبيب والثاني في الحث على التواضع والثالث في التحذير من الاقارب وروي عنهُ سبعة ابيات من الشعر رواها العسكري في كتاب الحكم والامثال وهي

فان الذلّ في الارؤس فنفض جفونك او تكسر
وضائر سوادك واقبض بسيفك وفي عقر بيتك فاستجفر
وعند سليك فابغ العلى وبالوحدة اليوم فاستأنس
فان الغنى في قلوب الرجال وليس التعزز بالانفس
وكم ترى من اخي حسرة غنيّ وذي ثروة مفلس
ومن قائم شخصهُ ميت على انهُ بعدُ لم يرمس
فان تطعم النفس ما تشتهي تنبك جميع الذي تحتسي

وعندي ان هذه الابيات تدل على حالة نفسية حزينة تدفي هذا الفيلسوف العربي القديم من ضوبنهور . ولا غرابة اذا كان الحزن ميزة الحكماء فهو كما قال زيلر في كتابهِ عن تاريخ فلاسفة اليونان « علامة الامم المفكرة »

قال في وصيتهِ — ليتّقِ الله تعالى المتطيب ولا يخاطر فليس عن الانفس عوض . وقال ممّا حبب ان يتال انهُ كان سبب عافية العليل وبرئه كذلك فليحذر ان يقال انهُ كان سبب تلفه وموته

العاقل يظن ان فوق علمهِ علماً فهو ابداً يتواضع لتلك الزيادة والجاهل يظن انهُ قد تناهى فتسقتهُ النفوس لذلك . نقلاً عن كتاب المتقدمات لابن بختويه . قال الكندي يوصي ولده يا بني الاب رب والاخ فخ والعم غم والخال وبال والولد كمد والاقارب عقارب

وهذا من وصيتهِ لابنهِ ايضاً قول « لا » يصرف البلا وقول « نعم » يزيل النعم وسماع الغناء برسام حاد لان الانسان يسمع فيطرب وينفق فيسرف فيفتقر فيغم فيعتل فيموت

الدينار محرم فان صرفتهُ مات . والدرهم محبوس قال الخرجتهُ فر والناس سخرة فخذ شيئهم واحفظ شيئك ولا تقبل من قال اليوم الفاجرة فانها تدع الديار بلاقع

محمد لطفي جمعه